دور المرأة في الحفاظ على الموروث الثقافي لوادي مزاب

د(ة). بن رمضان فيروز

جامعة يحيى فارس المدية – الجزائر

الملخص:

يعد الموروث الثقافي للشعب الجزائري عامة و الأمازيغي خاصة مصطلحا واسعا جدا من الصعب تحديد معالمه، إلا أنّه حُصر- على سبيل الدقة- في كل ما خلده الإنسان من شواهد روحية أومادية في تراثه الفكري و رقيّه الإنساني سواءً أكان موروثا معنويا كالأمثال والحكم والحكايات الشعبية والأساطير والأهازيج والرقصات وغيرها، أم كان ماديا كالحِرف والصناعات والأزياء التقليدية وصناعة الحلي وغيرها ممن تتمتع بقيمة فنية أو تاريخية تدخل في سياق بناء الهوية الوطنية.

وسنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على الموروث الثقافي في منطقة بني مزاب، والحديث عن طبيعة هذا الموروث الآخذ في الضياع و الزوال، معتمدين على الرواية الشفوية لمشايخ المنطقة و تُقاتهم و المهتمين بثقافتهم وهويتهم الأمازيغية.

الكلمات المفتاحية: التراث الثقافي؛ منطقة بني مزاب؛ التراث الشفوي؛ الجمع الميداني؛ التراث اللامادي؛ التراث المادي؛ المرأة في المجتمع المزابي؛ ألاّون؛ الأهازيج؛ الأمثال الشعبية.

Abstract

The cultural popular heritage of the Algerian people in general and the Amazighs in particular is a very vast term. Which is difficult to define. However, it has been limited exactly in all that the human being has immortalized in both spiritual and material heritage, whether it is moral such as proverbs, Mythology, songs, dances, etc or material such as crafts, traditional costums, ornaments, etc., which have an artistic or historical values that contribute in building the national identity.

This article is an attempt to highlight the cultural heritage in the region of Bani Mazab, and talk about the nature of this heritage, which is in the way of being lost, depending on the oral narrative of the region's sheikhs and their dependents and those interested in their Amazigh culture and identity.

Keywords: Cultural heritage; Mzab region; intangible heritage; tangible heritage; Woman in Mozabite community.

مقدمة:

تعرّف اتفاقية اليونسكو التراث الثقافي غير المادي الوارد في اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي المنعقدة يوم 29 سبتمبر إلى 17 اكتوبر من عام 2003 بمدينة باريس، بأنه "الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، التي تعتبرها المجموعات وأحيانا الأفراد جزء من تراثها الثقافي. هذا التراث الذي يسمى أيضًا "التراث الثقافي الحي" ويشمل الميادين الآتية: العادات وأشكال التعبير بما فيها اللغة التي تمثل محرك التراث الثقافي غير المادي، فنون الاستعراض، الممارسات الاجتماعية، الطقوس، الأحداث الاحتفالية، المعارف والتفاعلات مع الطبيعة والكون، الكفاءات والمهارات المرتبطة بالحرف التقليدية".

وهذا التراث الثقافي غير المادي تتوارثه الأجيال مع إبداعه وتطويره باستمرار بما يتفق بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بالهوية والشعور بالاستمرارية والتنمية المستدامة. وحماية هذا التراث يشجع ويغذي تنمية تعدّد الثقافات والإبداع.

مفهوم الثقافة الشعبية:

هي مجموع العناصر التي تشكل ثقافة المجتمع المسيطرة في أي بلد أومنطقة جغرافية محدودة، وهي بحث في حياتها الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، بصورة ذات أجزاء دلالية " حية وصادقة مصدرها وجدان الشعب، والعلم ذو الفطرة النقية، والبعيدة عن سيطرة الحكام والمستغلين".[1]

ويمكن اعتبار الثقافة الشعبية وحدة كلية متكاملة، وعملية مستمرة تتعدى في وجودها كل اللحظات الزمنية الآنية، وتتصل حلقاتها بعضها ببعض على الرغم مما قد يطرأ على بعض مظاهرها من تغيير واختلاف، وهي بمثابة جسد كبير يضم بين جنباته العديد من الأشياء التي تحدد ثقافة الشخص أو الفرد أو الجماعة، ومن بين هذه الأشياء نجد أن الثقافة تتجلى في العمران والملبس والأغاني الشعبية والأكل وغيرها.

وقد استقرت الدراسات الإنسانية المعاصرة على اعتبار كلمة "ثقافة شعبية "، على أنها مُصطلح يدل على "منظومة من الخبرات التي حصلتها جماعة من الجماعات البشرية، تتجلى فيها طريقتها في الحياة، وتتحدد أنساقها القيمية والمعتقدية والمعرفية والجمالية، التي تُعبر عن نظرتها للوجود الاجتماعي والطبيعي[2]، وحددت الموضوعات التي يشملها المصطلح بأنها: القيم والمعارف

---

[1] نمر حسن حجاب، التراث الشعبي علم وحياة، مجلة الثقافة والتراث لقومي، تونس/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد الرابع، سنة 1992، ص 170

[2] محمد جسوس–سلسلة مقالات حول الثقافة الشعبية– المغرب، ص210.

والتصورات والعادات والأعراف والأخلاق والتنظيمات، والتعبيرات الفنية، وأساليب العمل والإنتاج وأدواته وعلاقاته، وأي قدرات أخرى يكتسبها الفرد بوصفه عضواً في المجتمع.

مفهوم الفلكلور:

ويعرفه **فوزي العنتيل** بأنه: "التراث، إنه شيء انتقل من شخص إلى آخر وحُفظ إما عن طريق الذاكرة، أو بالممارسة، أكثر مما حفظ عن طريق السجل المدون"[1]، بمعنى أنه مجموع العادات والتقاليد التي اكتسبها الانسان في حياته اليومية وتوارثها أبا عن جد.

مفهوم الأدب الشعبي:

للأدب الشعبي عدة مفاهيم، ومن أهمها ما ذكره الدكتور عيلان محمد على أنه يمثل: " أدب الأمة الشفوي، سواء كان مجهول المؤلف أو معروفه، المعبر عن عواطفها وآمالها ونظرتها في الحياة، في شكل نصوص موروثة أو حديثة معروفة"[2]، بمعنى أن الأدب الشعبي لكل أمة من الأمم هو جامع في طياته لمجموعة من الأشكال التعبيرية والفنية، التاريخية والرمزية مثل الأساطير، الأغاني، الخرافات، الشعر، الأمثال، الحكم...المتناقلة شفهيا من جيل إلى جيل ومن فرد إلى فرد آخر.

---

[1] فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو؟، مصر، دار المعارف، ص 35.

[2] محمد عيلان، التراث الشعبي الجزائري: مفاهيم ودراسات، مجلة التواصل، الجزائر، جامعة عنابة، العدد الرابع، جوان 1999، ص 170.

يعد التراث الشفوي من بين أهم الاختلافات في ما يخص الموضوعات التي يمكن إدراجها تحت مفهوم "التراث"، فطبيعته الشفوية جعلت الكثير من الدارسين لا يميلون إلى دراسته، رغم أن دراسته والتعرف إليه بات حاجة ملحة تفرض نفسها في حياة كل الشعوب، لأن التمسك به ضمانة حقيقية لاستمرار وجود أي شعب، والجزائر كغيرها من البلدان العربية أحوج لممارسة هذا الفعل، خاصة في ظل ما تواجهه من تحديات بغية تذويب ذاتها وتشتيتها، فتمسكها بالموروث الشفوي مطلب ملح للدفاع والحفاظ على هذه الذات. وتتشبث الأمم بتراثها الشفوي وتتمسك به لأنه «روحها ومقوماتها و تاريخها، والأمة التي تتخلى عن تراثها تتخلى عن روحها، وتهدم مقوماتها وتعيش بلا تاريخ»[1].

فأهمية التراث الشفوي لا تكمن فحسب في الحفاظ على هوية الشعوب من التمزق والتشتت، بل له دور في تعريفها بماضيها، فهو صلة الوصل بين ماضيها وحاضرها، فرغم نظرة المؤرخين إليه نظرة غير جدية، لأنهم يعدونه ضربًا من الفنون التي لا يمكن الركون إليها، إلا انه يمكن أن يساهم في بناء تاريخ الشعوب[2].

[1] ناصر الدين الأسد، التراث والمجتمع الجديد، مطبعة الغاني، بغداد، د.ط، 1965، ص 11.

[2] إيمان هنشيري، آليات اشتغال المنهج التداولي على التراث الشفوي، ص 03.

وانطلاقًا من هذه الأهمية يقول **لطيف بولا:** «الشعوب التي تحترم تراثها وتعمل على تخليده ونشره بين الشباب وبين الأجيال الصاعدة تكون أكثر أصالة واشد وحدة وارفع أخلاقًا من التي لا تراث لها ولا تقاليد تجمع بين أفرادها، وتستذكر من خلالها ماضيها وأجدادها الذين ورثوا منهم ذلك التراث، والذي هو جزء مهم من تاريخ وثقافة الشعوب الأصلية»[1].

وينقسم التراث إلى قسمين، قسم مادي وقسم معنوي:

فالتراث المادي هوكل التراث الملموس، والذي يرى بالعين، و يشمل:

[1] عبد اللطيف بولا، مناهج التراث والتاريخ الشفوي عند العرب، مجلة الامارات العربية المتحدة ابو ظبي، 1992، ص 154.

أ – كل ما شيده الأجداد من عمائر دينية كالمساجد والكنائس ودور العلم والأضرحة والزوايا والعمائر الأخرى؛ كالقصور والمنازل والأسواق والمراكز الصحية والحمامات وغيرها.

ب – الحرف اليدوية والصناعات التقليدية التي تتم صناعتها بالاعتماد على المواد الخام بالمنطقة: كالخزف والفخار والنحاس والزجاج، والصياغة والحياكة والتطريز والنسيج والغزل والعيش وغيرها.

ج- الأزياء الشعبية والفولكلور والموسيقى الشعبية وأدواتها التقليدية التي توارثتها الأجيال.

أما التراث المعنوي، فهو التراث الذي يخاطب العقل والفكر، وخاصة الآداب والفنون والموسيقى بأنواعها وألوانها المختلفة، وكذا الحكايات الشعبية والأسطورية والتاريخية التي ظلت ترددها الأجيال، وتمجد فيها القيم العليا وحب الوطن. وهو مجموع النتاج الفكري لأبناء الشعب الذي يعبر عن إبداعاتهم على مر العصور في مختلف المعارف، سواء أكان في العلوم الدينية والفقهية والفلسفية واللغة والأدب والشعر والتاريخ، وحتى التشريعات القضائية والحكايات والأمثال الشعبية والعادات والتقاليد والأعراف وغيرها من العلوم التي ارتبطت بشكل مباشر مع الإنسان وواقعه وحياته اليومية في المنطقة.

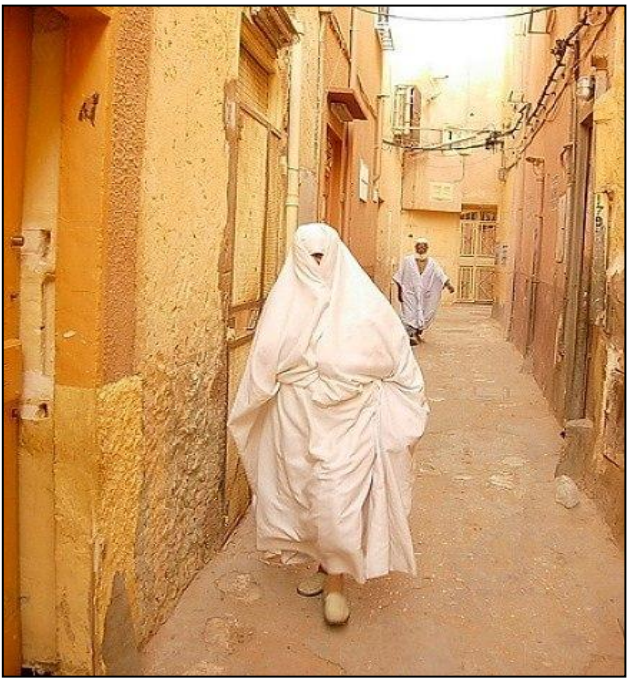

مكانة المرأة في المجتمع المزابي:

تؤدي المرأة كَوِحْدَة بنائية في الأسرة و المجتمع، دورا أساسيّا في ضمان استقرار واستمرار النظام الأسري والموروث الثقافي داخل النسق الاجتماعي، فحظيت بمكانة مرموقة عند المجتمع المزابي الذي ينظر إليها نظرة الدين الإسلامي لها، فيضعونها في المنزلة الرفيعة التي أحلها فيها الإسلام، ويعطونها كل حقوقها المشروعة التي جاء بها الدين، بل يرونها أهم قاعدة في المجتمع المزابي، وهي سبب صلاحه وتقدمه وسعادته، وعلى حسب صلاحها يكون صلاح المجتمع، لذلك اعتنوا بها كل الاعتناء واحترموها بالغ الاحترام، وبجلوها وأحاطوها

بكل الوسائل التي أمر بها الدين مما يضمن صلاحها، وغاروا عليها وحفظوها من كل ما يُضعف دينها وصلاحها[1].

إذن فالمرأة داخل التنظيم الاجتماعي المزابي تؤدي دورا مهما في ذلك النظام نظرًا لكونها الناقل للإرث الاجتماعي والنظم الثقافية والمحافِظة للإرث المادي إضافة إلى مالَها من مكانة مرموقة في مجتمعها، فالحكايات الشعبية والشعر الشعبي والأمثال والأهازيج واللهجة والموسيقى يتعلمها الفرد من والدته، لان المرأة هي الحافظ للتراث الشعبي بالإضافة إلى أنها المربية والأديبة والشاعرة التي تحرص للمحافظة على إرثها الثقافي، ففي وقت المناسبات الدينية تسعى النساء بصفة عامة وخاصة العجائز بحرص على إحياء هذه المناسبة سواء بالغناء والإنشاد أو الحكايات والمواعظ أو عن طريق القصائد التي تعبر عن تقاليد هذا المجتمع، وهذا خوفًا من زوالها وزوال مضمونها، فالمرأة تعتبر خزان الموروث

[1] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، وزارة الثقافة، 2007، ص 227-228.

الثقافي للمجتمع كونها ماكثة بالبيت وهي المربية للأطفال عكس الرجل الذي يهتم بإعالة العائلة.

أهمية الموروث الثقافي في المجتمع المزابي:

من أهم أشكال التراث المادي في منطقة مزاب والذي أولته المرأة اهتمامًا كبيرًا وتوارثته الأجيال، صناعة الزرابي، فلا يكاد يخلو البيت المزابي – قديمًا – من أزطّا (المنسج)، الذي جعل المرأة تشمر عن سواعدها إلى جانب الرجل، لتساهم بدورها فيما يخصُّها، فتحدَّت الطبيعة والحاجة والجهل بجهد عظيم، يوازي أو يفوق جهد الرجل بما وفَّرته من جهد عنه حتَّى يتفرَّغ لدوره الموكل إليه فطرة وجبلَّة وشرعًا، فبرعت على الخصوص في استغلال و توظيف جميع المواد

والوسائل الطبيعية والحيوانية والنباتية التي وفَّرتها لها الطبيعة بما في ذلك نعمة الوقت؛ وعلَّمتها صعوبة الحياة وشظف العيش في بيتها كيف تستغلُّ كلَّ جزء من هذه المواد وهذه النعم. حتَّى غدت الاستفادة واستغلال كلِّ شيء في محيطها كبيرًا أو صغيرًا جليلاً أو حقيرًا، سلوكًا اجتماعية وخلقا متأصِّلاً ومبدأ محترمًا يلتزم به الرجال والنساء والكبار والصغار، تتوارثه الأجيال عبر العصور والقرون.

فقد كانت الحماة قديمًا في وادي مزاب، وفي صباح اليوم الرابع من الزفاف، عندما تنزل العروسة من الطابق العلوي للبيت، حيث غرفة نوم الزوجين وهي لابسة الجربية (تَجَرْبِيتْ) لتقول لحماتها في أوَّل مقابلة لها معها:

- صباح الخير، (صْبَاحْ لْخِيرْ أَيَلاَّ).

تجيبها الحماة:

- صباح الخير يا ابنتي، (أَخِّيرِ أُولْعَافِيه).

تقول العروسة:

- ماذا أفعل يا سيِّدتي؟، (بَاتَّا غَ دَدْجَغْ حَمَّالِّيكْ أَيَلاَّ).

تجيبها حماتها:

- تَفضَّلي يا ابنتي، لقد أعدَدت لك ماشط الصوف (أَمْشَضْ) وقطعة من الصوف المفروزة، لتصنعي لنا شلَّة من الصوف (اَتْبَانِيتْ نَ ضُّوفتْ). وهي تريد اختبار تمكُّنها في صنعة الصوف، الصنعة الأساسية الرئيسية للمرأة المزابية،

وبهذه الطريقة أتقنت الغزل والصبغ والحياكة وصناعة الزرابي وورثتها للأجيال القادمة[1].

أما في ما تعلق بأشكال التراث اللامادي، فنجد الأمثال والأهازيج وغيرها مما يعد وعاءً للعادات والتقاليد والأعراف المنتشرة في المجتمع المزابي والتي يلتزم بها أفراده، لأنها تعبر عن الملامح الاجتماعية والثقافية للمجتمعات التي قيلت فيها، وتصور ظواهرها وبواطنها بدقة، ومن هنا فإنها بمقدار ما شكلت الذخيرة المعرفية والأخلاقية للمجتمع، فإنها من خلال حفظها كوثيقة، برزت كأداة لدراسة المجتمع وقيمه وعلاقاته الاجتماعية وتجلياتها.

وبما أن المرأة نصف المجتمع فإنها حظيت بأكبر عدد من الأمثال الشعبية، وقالت عددًا لابأس به من الأهازيج، وساهمت في ترسيخ بعضًا من تراثهم المادي كصناعة الزرابي مثلاً، و جانبًا من تراثهم اللامادي مثل عادة ألاّون وسط أهلها وذويها، فالمخيال المزابي الاجتماعي شكل صوره عنها انطلاقًا من كونه نسقًا ذكوريًا مهيمنا؛ لأن المجتمع التقليدي هو مجتمع يكون فيه الرجل هو المسؤول عن تسيير الأسرة و تنظيمها. أما المرأة، فمكانتها في البيت حيث ترعى الأطفال و تهتم بأمور الأسرة ورعاية الأولاد.

كثيرًا ما تردد في مجالس النساء و فضاءات مسامراتهن بعض الأهازيج القديمة والقصص المعبرة المفعمة بالحنكة والتجارب ترفيهًا عن أنفسهن وترويحًا

[1] الراوي: الإعلامي يوسف لعساكر /إذاعة غرداية المحلية.

لهن من مشاق الحياة ومتاعبها بغرض تجديد الطاقة والنشاط، وما يميز هذه اللقاءات أجواء الفرح المعطرة بذكر الرحمان وطلب المغفرة منه والرحمة والعافية والسلام.

وكما أشرنا، فمن بين العادات المتجذرة في المجتمع المزابي عادة ألاّون (التفاؤل)، التي أخذت في الضياع مؤخرًا... وقعدة ألاّون تشبه إلى حد ما جلسة البوقالة في الشمال الجزائري التي تتخذها النسوة كوسيلة للمتعة والتسلية وتقديم الكلام العَطِرْ لإدخال البهجة والفرح والسرور، وفي ثناياها قد تعني الفأل أو الحظ والنصيب، و يكون التجمع في وسط عائلي بهيج بين الأحباب والأصدقاء في حلقة للتسامر والترفيه عن النفس مع صينية الشاي والحلويات والمكسرات وجبن تاكمّاريت، ثمّ يجمعن أغراضا معينة أو أشياء رمزية سواء مما يلبسن أو يستعملن مثل: خاتم أو زهرة أو مفتاح أو ورقة أو أساور أو قطعة سكر، وتكون بعدد الاشخاص البالغين الحاضرين ونيابة عن الازواج او الاخوة الغائبين.

وغالبًا ما تقوم بالعملية امرأة طاعنة في السن محنكة ممن لهن تجارب في الحياة، يتم تعيينها من طرف الحاضرات أو برغبة إحداهن ممن تتقن الحكي وسرد الأحداث التاريخية والمواعظ والعبر، فتسترسل في كلمات انسيابية معبرة وهي مغمضة العينين، متلمسة بأناملها لتلك الاغراض التي أمامها، بكلام قد يكون مطابقا لكل شخص ترك غرضًا خاصًا به بعد أن تلمسه والجميع ينصت اليها مشدوها يترقب دوره أو دور من يحب من الأهل و الأقارب في جو تغمره الغبطة والسرور.

ومن بعض ما ترددده النساء في جلسة ألاون، هذه الكلمات[1]

دَفَّرْ بسم الله دْنتزاليتْ دَ سْلام فْوَاسْرَنَّغْ محمد (ص)

بعد بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ص

وُوني دَامَزْوَارْ أَنْ وَلاَّوَنْ دِ مَزْوَارْ نَ تْمَلاّ دَ الرَّحْمَتْ

بتّا غَاسِينِيغْ إِتُونِي بَتّا أُ سَفِّيرَغْ

تُونِي ئِتْهَاتَّايَاسْ أَرْجَازَسْ يَقَّارْ سَاجَّابِيتْ أَوَنِّي إِيتُوشِينْ

تُوني ءُ سَفِّيرَغ غِير شَارَضْ لَوْقات أَنَّغْ شَارَضْ سْوَايَغْ أَنَّغْ شَارَضْ إِيَّارَنْ أَصِيرْزَمْ ربي تِيوِيرَا نَ الْخِيرَسْ، أَسِيقْضىَ تِيغَاوْسِيوِينَسْ.

[1] ساعدني في جمع بعض كلمات جلسة ألاّون: الإعلامي يوسف لعساكر/إذاعة غرداية، و ترجمها للعربية الدكتور علي حمودين/جامعة ورقلة.

وترجمته إلى العربية:

هذا أول "ألاون"، الأول في الصفاء والرحمة

ماذا أقول لهذه (السيدة) وما لا أقول

هذه يلح لها زوجها بالدعاء فيقول رب أصلحها لي يا من منحتني إياها

هذه لا أقول لها غير ثلاثة أزمنة أو ثلاث ساعات أو ثلاثة أشهر بأن يفتح الله لها أبواب رحمته، فيقضي لها مآربها.

وأيضًا[1]:

توني يلا غرس أنغ أتارو شارض الوشول إكن دلمودن إقن دليمام إقن دشيخ أني إلان ديومزوار دوني إلان دي وناماس كاع ألان ديومجارو..

توني رب اتيدج ان تخسي نمحرم تسبح سي جار اوغيرو دوتوب..

توني رب اتيدج تدارت نكثر خيرك وي اّتوتفن يلوز اديفغ يجون.

توني مي تموت اديلين اتدونيت قارناس سبحان الحي الذي لا يموت أما ات لخرت اعاد قارناس لبيك اللهم لبيك.

توني رب اتيدج ان الحلوة تسفراح بورخس.

[1] ساعدني في جمع بعض كلمات جلسة ألاّون: الإعلامي يوسف لعساكر/إذاعة غرداية، و ترجمها للعربية الدكتور علي حمودين/جامعة ورقلة.

توني اودمس دازوقاغ وتيوي ؤو تّيري، اتدج جار ميدن ول تسيغي ول تسمنغي، تجرو ول تزوني

توني استّاس تكيرضاس س تما تافوسايت اعاد تعزمت يتّيفاو ودمس

وترجمته:

هذه لها أم أنها ستلد ثلاثة فتيان، أحدهم مؤذن وآخر إمام وآخر شيخ

يوجد في الأول وفي الثاني كل ما في الأخير

هذه سيجعلها الله كأضحية محرم تسبح من أول الفجر إلى الصبح

هذه سيجعلها الله دارا لقولة "كثر خيرك"؛ من يدخلها جائعا يخرج منها شبعانا

هذه بعد موتها، سيقول لها أهل الدنيا (الأحياء) "سبحان الحي الذي لا يموت"، أما أهل الآخرة (الأموات) سيقولون لها "لبيك اللهم لبيك".

هذه جعلها الله كالحلوى تفرح الأطفال.

هذه وجهها أحمر [بمعنى منور ومضيئ]، لا تأخذ الكلام و تعيد (تتفادى الغيبة والنميمة)، تصلح بين الناس ولا تفتن، تجمع ولا تفرق.

هذه نسج رسالتها من اليمين ستقرأها، و يضيئ وجهها.

ومن بعض العادات أيضًا، نجد الأهازيج فهي من أكثر الأنماط الشعرية الملتصقة بالإنسان، المعبرة عن همومه وأشجانه، وأفراحه وابتهاجه، وقد عرف المزابيون الأهازيج، مثلهم مثل بقية شعوب الأرض، فعبروا بها عن همومهم

وأحزانهم وأفراحهم وابتهاجهم، و الأهزوجة هي نشيد شعبي في لغة العامة من الناس ينشده الناس في مناسبات كثيرة ومتنوعة، مثل الحروب، وعند الوفاة، والاستعراض والأعراس، والمناسبات الدينية ومناسبات الحياة العادية والاستقبال والتوديع.

وقد تنوعت الأهازيج الشعبية ومثلت جميع الحالات الإنسانية بكل تنوعاتها وتقلباتها. فقد عبر الإنسان عن مشاعر الحب والفرح والغضب والحزن، والسعادة والشكوى، كل ذلك عبر عنه بالأهازيج التي ينظمها ويرددها في المناسبات المختلفة وظلت تتناقلها الأجيال بعد ذلك وتضيف إليها من تجاربها وخبرتها ما يغذيها ويدعمها.

ومن الأهازيج النسوية التي تؤدى جماعيًّا في الغالب وفي مناسبات مختلفة، تعبر في ثناياها عن الرجاء في تحقيق الامنيات وبلوغ المرام ومعظمها تستهل بكلمات: "سِيوَضْ أَوِي اسَّاوَضَنْ"، بمعنى" بلّغ يا مبلّغ"، ويقصد به التوسل الى الله عز وجل لتسهيل الأمور، أو ترديد كلمات تعبيرًا عن فرحتهن سواء في عرس أو حفلة أوغيرها من المناسبات:

ألالاولالا ألالاولا

حُوفمتْ أ تِيولْعِيّينْ تسلولومتْ ييد لالاّ [1]

وترجمتها:

ألالاولالا ألالاولا

غنّين يا فتيات و زغرتن لي لا لاّ.

أما الأمثال الشعبية، فلها سلطة مرتبطة بالجماعة لأنهما صوت الأجداد، فعند الاستشهاد بالمثل الشعبي تتغير النبرة وتُعدّل الهيئة، فيلاحظ المستمع أن النبرة التي يقال بها المثل تختلف عن الكلام الذي يسبق المثل والذي يليه، فيتخذ المتكلم صوتًا يمثل صوت الأجداد، ومن هنا كانت للأمثال سلطة مرتبطة بالجماعة بعيدًا عن قائلها.

[1] راوي الكلمات الإعلامي يوسف لعساكر/إذاعة غرداية.

ونظرًا لمكانة المرأة المرموقة في مجتمعها، فإن لها دور عظيم في الحفاظ على تراث المجتمع اللامادي وذلك من خلال تربيتها للنشء تربية إسلامية هادفة وترسيخها للقيم والمبادئ من خلال توعيتها لهم:

- أن هويتهم الوطنية تتمثل في الحفاظ على تراثهم الثقافي اللامادي الذي يعود بالقيمة المتزايدة في تعزيز وصيانة الهوية، لأن الهوية هي التي تجمع ما بين أفراد المجتمع مادام للأمة تاريخ عميق وأمجاد وثقافة يعبر عنها التراث بما يحتويه من رموز معبرة عن تاريخ الأمة وعواطفها الروحية والقومية.
- أن أهمية المعرفة بالتراث مرتبط بشكل أساسي بالمحافظة على جذوره المتأصلة في تاريخ المجتمع المزابي ماديًّا ومعنويًّا.

- أن المعرفة بالتراث تقودنا إلى الاطلاع على عظمة التاريخ الذي صاغه المجتمع المزابي منذ القدم، وإلى روعة الحضارات التي سكنت في تلك الأرض، مما يولد الدافع الذاتي لحماية التراث، والمحافظة عليه.
- أن المعرفة بالتراث تدفعهم إلى الاهتمام بكل جوانب التراث الثقافي بما يكمل منظومة التراث بشكل كامل.
- أن بذل الجهود للحفاظ على التراث لن تحقق أهدافها، وتؤتي أكلها، إلا من خلال القيام بجهود مضاعفة من أجل نشر الوعي بقيمة التراث، والقيام بجهود تثقيفية لتشكيل قاعدة اجتماعية تحتضن فكرة الاهتمام بالتراث، والاهتمام بها، والعمل على ترسيخ قيمتها في أذهان مختلف الأولاد والبنات والطبقات الاجتماعية، وإحداث نقلة نوعية في نظرة المواطنين للتراث من خلال إبراز قيمته التاريخية، وإبراز مساهمات الآباء والأجداد، وكفاحهم في تأسيسه وبنائه، وهو الأمر الذي يستدعي إعادة الاعتبار للتراث، وعدم اعتباره مجرد ترف ولهوليس له قيمة، أو فائدة.

ولا يقتصر أمر الحفاظ على الموروث على المرأة المربية فقط، بل يجب على المجتمع المساهمة في ذلك بإقامة المهرجانات المحلية التي يمكنها أن تساهم في عملية الحفاظ على التراث الثقافي، وكذا بعقد الندوات والمؤتمرات لدراسة البحث الناتج من الجمع وتدوين التراث اللامادي خوفًا عليه من الضياع.

كما يجب أن تساهم وسائل الإعلام في شرح أهمية التراث الثقافي وأبعاده الحضارية والتاريخية والثقافية والاجتماعية، وأن تقوم بالتركيز على عناصر

ومفردات ذلك التراث من أجل غرس قيم الولاء والحضارة، والاهتمام بالشخصية الوطنية، باعتبار التراث كاشفًا لها، ومعبرًا عنها[1].

خاتمة:

ويبقى التراث الشفوي مصدرا من مصادر تاريخ منطقة بني مزاب في كل فترة من فتراته، إذ تظل الأحداث وحركة المجتمع محفوظة لدى نسوة الفترة التي عاصرن أحداثها، وشهدن حركة المجتمع فيها، وعايشنها، وحفظنها في صدورهن بدقائقها، وتفاعلهن مع أحداثها، وتأثرهنّ بها، ورسوخ هذه الأحداث، وحركة المجتمع في ذاكرتهن، و تخزينها في الذاكرة كجزء من تجاربهن و معاناتهن، وكل هذه التجارب محفوظة في الذاكرة لا تمحوها الليالي و الأيام، ويظلّين يروينها في مجالسهن الخاصة، كمشاهدات ومشاركات في هذه التجارب التي مرت بهنّ، والتي تحوي تفاصيل دقيقة، قد لا نجدها في التاريخ المسجل، ولا في الوثائق الرسمية، وبصورة تفصيلية مرسومة بريشة معبرة و دقيقة، أملا في الحفاظ عليها و توريثها للأجيال اللاحقة، حتى لا تضيع.

[1] معظم المعلومات جمعتها من أفواه الخاصة من مشايخ منطقة وادي مزاب بغرداية/الجزائر، بمساعدة الإعلامي يوسف لعساكر.

قائمة المصادر والمراجع:

1- نمر حسن حجاب، التراث الشعبي علم وحياة، مجلة الثقافة والتراث لقومي، تونس/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد الرابع، سنة 1992، ص 170

2- محمد جسوس-سلسلة مقالات حول الثقافة الشعبية- المغرب، ص 210.

3- فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو؟، مصر، دار المعارف، ص 35

4- محمد عيلان، التراث الشعبي الجزائري: مفاهيم ودراسات، مجلة التواصل، الجزائر، جامعة عنابة، العدد الرابع، جوان 1999، ص 170.

5- ناصر الدين الأسد، التراث والمجتمع الجديد، مطبعة الغاني، بغداد، د.ط، 1965، ص 11.

6- إيمان هنشيري، آليات اشتغال المنهج التداولي على التراث الشفوي، ص 03.

7- عبد اللطيف بولا، مناهج التراث والتاريخ الشفوي عند العرب، مجلة الامارات العربية المتحدة ابو ظبي، 1992، ص 154.

8- إيمان هنشيري، آليات اشتغال المنهج التداولي على التراث الشفوي، ص 04.

9- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، وزارة الثقافة،2007، ص 227-228.

10- الراوي: الإعلامي يوسف لعساكر /إذاعة غرداية المحلية.

11- ساعدني في جمع بعض كلمات جلسة ألاّون: الإعلامي يوسف لعساكر/إذاعة غرداية، وترجمها للعربية الدكتور علي حمودين/جامعة ورقلة.

12- معظم المعلومات جمعتها من أفواه الخاصة من مشايخ منطقة وادي مزاب بغرداية/الجزائر، بمساعدة الإعلامي يوسف لعساكر.